من العقل النقدي إلى العقل الافتراضي – أي دور للفلسفة – في فضاء عولمي.

الباحث: حمــزة عايــد

المدرسة العليا للأساتذة – بوزريعة – الجزائر العاصمة

مقدمة:

من نتاج الثورة الفكرية و العلمية المتسارعة أنها أدت الى انكماش المكاني والزماني، فتمخض عنها نشأة مجتمع جديد يختلف الانسان فيه عمّا كان عليه فكرا و فعلا، فيطرح عديد القضايا بحكم سرعة التواصل والتفاعل خاصة بفعل التقنية، الميديا و وسائطهما، فقلَّ ما نسمي مجتمعنا اليوم بالمجتمع الافتراضي أو الكونية الافتراضية نظرا لانتقال التفاعل من الطرح الميداني الواقعي إلى المعالجة الافتراضية، في ظل هذا التغير تعاد صياغة العديد من التساؤلات مسايرة لهاته التحولات، وتجد الفلسفة ذاتها في هذا الركح والمعترك الجديد منتقلة من أروقة المدارس والمعاهد إلى أروقة التواصل الاجتماعي والفضاء العمومي بشتى تجلياته. لكن هنا نتساءل عن دور الفيلسوف والفلسفة في هذا الفضاء العولمي و العمومي المغاير أين غدى الطرح فكريا، والمعالجة رقمية، الجراح واقعية والأدوية افتراضية.

فما موقع الفلسفة اليوم في هذا الفضاء العولمي، وكيف تساعدنا؟ هل بإمكان الافتراضي أن يختزل الفلسفي النقدي وبعبر عنه بتجليات عولمية ويحل إشكالاته؟ إذا كان هدفها الأبسط والأهم مساعدتنا في عيش حيواتنا أم أننا نلجأ إليها كعزاءات فقط مثلما ما نجده عند آلان دوبوتون.

ما موقع الفلسفة في المجتمعات الافتراضية وما تطرحه من إشكالات و معالجات؟ كيف يؤسس العقل النقدي الفلسفي لذاته من جديد أمام سيطرة العقل الافتراضي؟ كيف نؤسس لفكر فلسفي يتماشى مع قضايا الفضاء العولمي؟

أولا: تحديد المفاهيم الأساسية:

01/ العقل النقدي: هو تلك الملكة الفكرية الناقدة ، أو هو العقل الذي يميز التفكير الفلسفي لا يتقبل الحقائق كما هي بل يضعها تحت مطرقة النقد ، الرافض للتقليد و التلقين.

هو العقل الذي أكد عليه كانط في تساؤله عن ماهي "ما الأنوار؟ إن بلوغ الأنوار هي خروج الإنسان من القصور الذي هو مسؤوول عنه، والذي يعني عجزه عن استعمال عقله دون إرشاد الغير. والسبب في ذلك ليس نقصا في العقل بلنقصا في الحزم والشجاعة في استعماله دون إرشاد الغير. " **تجرأ أن تعرف. كن جريئا في استعمال عقلك أنت. ذاك شعار الأنوار**."**(01)** (إمانويل كانط ت محمود بن جماعة تأملات في التربية. ما هي الأنوار ؟ ما التوجه في التفكير؟، س 2005 ص 85) فهو مرادف إلى حد بعيد الى العقل الأنواري الذي ميز الفلاسفة عموما و فلاسفة الأنوار خصوصا بثورتهم على الشائع و اليومي.

02/ العقل الافتراضي: هو عقل محكوم و خاضع غالبا في مناحيه إلى عالم الافتراض، التقنية، التواصل، فهو عقل عولمي محكوم بلغة العولمة و وسائلها . يتواصل مع الآخر عبر وسائط تواصلية افتراضية ، وهو أقرب ما يكون إلى العقل الأداتي ، إذ أن العقل الأداتي هو منطق في التفكير وأسلوب في الرؤية العامة ، أي أن العالم الاجتماعي أصبح له طبيعة ثانية و أصبح كالطبيعة غير قابل للتغيير ومستقل عن أفعالنا.

فهو العقل المهيمن في المجتمعات المعاصرة و الافتراضية وخصوصا على المجتمع الافتراضي الذي فقد فيها العقل دوره كملكة فكرية في جوانب عديدة، وتم تقليصه إلى مجرد أداة لتحقيق أهداف معينة ليصبح عبارة عن عقل رقمي. و بذلك فهو عقل متستر بالتقني و العولمي يعبر عن ذات افتراضية تخفي ذات حقيقية مجهولة ، لا يمكن إدراك ماهيتها و حقيقتها ، كأنه عقل تابع للعقل الرقمي أو هو نتاج عنه.

ثانيا: انتقالية إلى الفيلسوف المعولم:

من منظور أن الفلسفة خالدة وأن الفيلسوف هو ابن زمانه ، هل نشهد اليوم في العصر الرقمي العولمي مرحلة انتقالية للفلسفة و للفيلسوف ؟ أو تأسيس جديد لمجال فلسفي فضاؤه العولمي والتفاعل مع العقل الافتراضي والرقمي مقابل العقل النقدي . بعد أن كان الشارع بساحاته في تاريخ الفلسفة يحتضن الفيلسوف ، مع سقراط و السفسطائيين، مع دويجين حاملا فانوسه المضيء في رحلة بحثه عن الحقيقة.

متنقلا بعدها إلى راهن أو أنموذج الفيلسوف الغارق في كتبه ، في مثاليته ، أو ذلك المنعزل في إنِّيته ، يتأمل الوجود من نافذة ذاته. أين دوّنت مختلف الطّروحات الفلسفية على شكل كتب و مقالات . منتقلين إلى الفيلسوف الأكاديمي الذي لا تزاوح فلسفته باب أكاديميته غالبا ، خصوصا في المجتمعات التي انفصل فيها الأكاديمي عن المجتمع ، ولم تجد رُؤاه صدى لها في الواقع . وكأن أفلاطون عندما قال من لم يكن رياضيا لا يطرق بابنا قد وضع قفلا على ذلك الباب الأكاديمي عاكسا إياه فلم يخرج الفيلسوف من أكاديميته و فلسفته ولا دخل الآخر إليها ، فأغلق على ذاته مخاطبا العالم من نافذة عزلته ، ممارسا نقده و عاملا على التنوير من خلال كتاباته لا غير.

وفي هذه المقاربة قد تطرق **ميرلوبونتي** إلى نوع من المقارنة في الدور بين الفيلسوف الكاتب و المحاور، مؤكدا على دور الأخير و فعاليته ، في فعل التفلسف بين " **الكتابة و الحوار**" فالفيلسوف الحديث هو في الغالب موظف، هو دائما مؤلف، والحرية المتروكة له في كتبه لها ما يقابلها ويعطيها بعض الالتزام. إن ما يقوله ويكتبه يدخل فورا في عالم أكاديمي تقل فيه مطالب العمل وتضعف فرص التفكير، بدون كتب، نعم بدون كتب فسهولة نقل المعاني قد يكون متعذرا، ولكن خارج عن هذا لا تعمل الدولة على أن تعارض الكتب أو مؤلفيها، ولكن الكتب ليست إلا كلاما متناسقا. إن الفلسفة عندما وضعت في الكتب قد أصبحت لا تنبه الناس. إن ما هو غريب فيها ويكاد لا يطاق قد اختبأ في حياة المذاهب الفلسفية الكبرى. لكي نجد من جديد الوظيفة الكاملة للفيلسوف يجب علينا أن نتذكر أنه حتى الفلاسفة المؤلفين الذين نطالعهم والذين نحن هم، ما زالوا يعترفون بعميد لهم، ونصير في رجل لم يكتب، لم يعمل على الأقل في كراسي الدولة. كان يحدث الذين يلتقي بهم في الطريق، وكانت مشكلاته مع الرأي العام و مع السلطات، يجب أن نتذكر سقراط."(**02**) (محمد سبيلا وعبد السلام بنعبد العالي، التفكير الفلسفي،دس ص67).

ليُحَطَّم القفل بوساطة العولمي والرقمي في عصر العولمة ، وتكنولوجيا المعلومات و الاتصال ، فينتقل الفيلسوف من عالمه الذاتي أو واقعه المعيش إلى عالم افتراضي ، وكانت وسيلته في هذا المطرقة الافتراضية عبر وسائل التواصل الإجتماعي ، المجلات الالكترونية و غيرها ، محاولا العقل النقدي أن يجعل من الرقمي والافتراضي وسيلته. مؤسسا لفيلسوف مُعَولم يتخذ من التقنية ساحة و وسيلة . وبذلك يدخل البحث والدرس الفلسفي إلى ثنائية الافتراضي العولمي مقابل الحقيقي الواقعي . فالانتقالية هنا لفيلسوف يبحث في إشكالات العولمة المتعددة معتمدا على نتائجها أولا، إذ على الانسان النزول إلى الماء قبل تعلم السباحة ، و على الفيلسوف أن يعايش العولمي ويسايره حتى يفهمه، بأن يدخل معترك العولمة و يجسد خلود الفلسفة فيها ممارسا تفكيره و نقده و مسايرا التغيرات. لأن أي متغير ومستجد سيكون له تأثير على التفكير والرؤى. " إذ أن تقنيات التفكير تتغير و تتبدل لما تنصب عليه من موضوعات، وتتباين حسب اللغة المستعملة ، و تتوقف كذلك على المستوى التقني لتطور العلم ، و على الأجهزة والأدوات العلمية كما

ترتبط بالتاريخ التقني و الاقتصادي للمجتمعات البشرية ، فلطالما كان العقل محايثا للتاريخ البشري في جميع مستوياته." **(03)** (جان بيير فرنان العقل بين الأمس واليوم، ت محمد سبيلا وعبد السلام بن عبد العالي (J.P. Vernant Religions, histoires, raisons, F.M, paris, 1979, p.p79-103))

فهذا المتغير و الفضاء العولمي قد يؤسس مرحلة انتقال من جهة أو صراع بين العقل النقدي الذي ميز الفلسفة عبر تاريخها مقابل العقل الافتراضي و الرقمي اليوم ، عقل رقمي بحكم خضوعه للتقنية ، أو صراع عقل افتراضي متستر بنتاج التقنية ، بخطاب و لغة تواصل جديدة ، وجب أيضا مساءلة هذا العقل وفحصه ، ما حدود العقل الافتراضي و ما قدراته ؟ هل يلغي العقل النقدي أم أنه تابع له ؟ تفكيك خطابه ، لغته و تأويلها. و طرح إمكانية التأسيس لفلسفة افتراضية أو رقمية تتماشى مع المتغير العولمي حتى يبقى الفيلسوف ابن زمانه.

ثاثا: الفلسفة من الأروقة الأكاديمية إلى الأروقة الافتراضية:

إن الفضاء العولمي يجسد لوجودية جديدة للإنسان عامة و للفيلسوف خصوصا ، يمهد لفعل و ممارسة فلسفية قد تختلف عن نظيراتها ، يؤسس لدرس فلسفي جديد مرتكزه العولمي . هذه الممارسات الفلسفية وخصوصا الدرس الفلسفي مثلما يتفاعل معه المهتم بالشأن الفلسفي من فلاسفة ، طلبة و باحثين ، فهو يخرج بصورة تلقائية و غير مباشرة إلى الآخر المغاير في التوجهات و الرؤى ، مما قد يخلق صراعا و مفارقات افتراضية بعد أن كانت في وقت مضى سجالات واقعية ، و غالبا ما تنعكس تلك المفارقات في الحياة الواقعية ، كما يتصادم هنا الفيلسوف مع العامي، وهو العامي المعولم أيضا بنسبة ما مع اختلاف في التأثير ، العامي الذي قد يتلقى الفكرة فيتقبلها تلقائيا أو يرفضها مطلقا، دون تقصٍّ أو نقد . ففي هاته اللحظات يؤسس المُسبق و الشائع لذاته بقوة ، و هو ما يستدعي تدخل الفلسفي و توجيهه للتدارك و رفع مستوى الوعي ، أو إلى نوع من – **التنوير الافتراضي** – فينتقل بذلك الحوار الفلسفي إلى وسائل التواصل الاجتماعي ، ومختلف الوسائط التكنولوجية في الاتصال. و هو ما يؤسس لأروقة فلسفية افتراضية مقابل تلك الأروقة الأكاديمية في زمن مضى. تتجسد هده الأروقة الافتراضية من خلال مجموعات و صفحات عبر مواقع التواصل الاجتماعي ، بواسطة المجلات الإلكترونية ، قد تتأسس مدارس افتراضية تشترك في الطرح على شكل مجموعات ... إلى غير ذلك. وهذا ما يؤسس لفلسفة افتراضية رقمية بدل فلسفة واقعية تجسدت في المحوارات الفلسفية في الساحات ، في المعاهد و المدارس. يؤسس لعقل افتراضي مقابل العقل النقدي.

في هذا الفضاء الفلسفي الافتراضي ، يتم التعامل مع الآخر الافتراضي الذي يخفي الآخر الحقيقي ، بحكم أن الوسائط المعتمدة تحول دون عمل تأثيرات واقعية نفسية و شعورية ، لا يمكن إغفال دورها في لغة التخاطب ، فكما

يتوجه الخطاب هنا إلى الآراء و الأفكار قد يخفي ممارسات و حقائق أخرى لا ندركها مباشرة فالأفكار كما بينها العروي " رموز لا تحمل حقيقتها فيها ، بل تستر حقيقة باطنية ، وفي هذا الستر ذاته تومئ إليها ، وبتأويل ذلك الإيماء نكشف عن الحقيقة المستورة. " **(04)** (عبد الله العروي، مفهوم الإيديولوجيا،ط5، س 1993 ص 43)

بحكم أن العديد يخفي ذاته أمام ذات مستعارة . أو يطرح أفكارا تتضمن أيديلولجيا و رؤى ذات غايات أخرى تتخفى بستار المصرح به . " فقد أظهرت مواقع التواصل الاجتماعي و خصوصا الفيسبوك قادة رأي جدد ، نخبة جديدة ، بعضها معلوم الهوية و بعضها مجهولة تختبئ في الغالب وراء أسماء مستعارة ، و بذلك خلقوا فضاءً بديلا لعرض طروحاتهم الفكرية ، إضافة إلى عديد الصفحات التي قد تكتسب شهرتها من خلال أسلوبها الساخر و اللاّذع ، في التعاطي مع قضايا الشأن العام ." **(05)** (هواري حمزة ، مواقع التواصل الاجتماعي و إشكالية الفضاء العمومي ص229).

فعلى سبيل المثال موقع فيس بوك يحيل من خلال إسمه باللغة الانجليزية كلمة "فايس" تعني الوجه ، "بوك" تعني الكتاب ، وبهذا تعني : " كتاب الوجوه " الذي يؤمن المحادثات الكتابية الصوتية و حتى المحادثات الجماعية وتبادل التواصل مع أي مستعمل تحت رغبته . الذي يحيل إسمه على واقعه من خلال تعاملك مع عدة وجوه، أوشخصيات معلومة أو مجهولة ، بل و قد تكون شخصية واحدة بأوجه متعددة.

كما تطرح هنا إشكالية لغة الخطاب الفلسفي ، خصوصا أن العالم الافتراضي تحكمه لغة رقمية أحيانا ، ولغة مستحدثة على حَسب الشخصية الافتراضية ثقافتها و انتماءاتها . ما يطرح عدة تساؤلات : هل اللغة الافتراضية التي تحكم التواصل الافتراضي و التي غالبا ما تكون مشوهة يمكن أن تحمل في مدلولها بعدا فلسفيا و تعبر عنه ؟ أم أنه على الفيلسوف أن يكيّف فكره على حسب تلك اللغة فيتناسب مع إيقاعها الذي يجذب العامي ؟ خصوصا إذا أراد أن يخرجه من حالة اللاوعي والقصور العقلي بممارسة تنوير إفتراضي ؟ إن تلك اللغة لا شك تشوه أصالة الفكرة و لا تعبر عن كل مدلولاتها و مكنوناتها ، بل و توقعها في العامي و فَاهِمته . و أيضا من منطلق أن اللغة بحد ذاتها قد تكون قاصرة في التعبير عن ديمومة الفكر و صيرورته و لا تتطور إلا بتطوره غالبا ، فكيف تكون التصورات والأفكار إذا كانت اللغة هنا مختزلة في عالم رقمي و افتراضي ؟ لغة ممزقة الجسد ، أين يتشابك فيها الافتراضي مع الحقيقي، الهزلي مع الجدي ، الرمزي المتستر مقابل المصرح. خصوصا في مواقع التواصل الاجتماعي.

فالمتغير الدلالي في هذه اللغة الافتراضية يمثل في حد ذاته موضوعا فلسفيا ، و يكرس بنظرة أخرى ارتباط اللغة بالجانب الاستعمالي لها الذي ما فتئ يعبر عنه هرموجين في محاورة كراتيل لأفلاطون. وأكده العلم ومنتجاته ، التقنية

والتطور التكنولوجي. و بالتالي وجب تفكيك تلك اللغة ، دراستها و تأويلها باعتبارها تعكس لحظة وجودية فريدة لوجودية إنسانية عولمية.

و إن كان العامي ينفر من الرمزي أحيانا ، من الإطالة و التفصيل و لا يصل إلى تلك اللغة الفلسفية وكُنهها، ويركن إلى الموجز، العاطفي، الملهم والمستهزئ إلى غير ذلك. فعلى الفيلسوف هنا أن يختزل ذلك بلغة تتقرب من العامي دون أن يتلاشى المفهوم، أن يبدع منهجا و طريقة تتكيف مع الافتراضي وخصوصياته، كأن ينتقل التهكم والحوار السقراطي إلى التهكم و السخرية الافتراضية فيقود من خلالها إلى تصحيح المفاهيم ، التشكيك في المسبق ... فقد يطرح فكرة بجانب هزلي أو سخري خاصة أن العامي يتفاعل مع هذا الأسلوب الساخر، وهو ما يولد معرفة جديدة ، فيغير تفكيره أو سلوكه من خلال طريقة و بُعد افتراضي ، من خلال انعكاس الأنا الافتراضي على الأنا الواقعي أو الحقيقي.

أن يغير الأداة و يكيفها فقد يعمد إلى المحاكاة ، التمثيل فينكشف المدلول للعامي ، وهذا من خلال تَعقّلِه أكثر فيها وفهمها من خلال تبسيط المعارف ، فيسهل تبنيها أو العمل بها . و يسهم الفيلسوف في بعث سؤال التنوير من جديد خصوصا أن الميديا بتِعداداتها وتَعدُّداتها ساهمت في الخروج من أسر السلطة وانفتاح أفق الفكر والتحرر. فقد أكد –هابرماس– أن عصر التنوير لم ينته بعد ، و لا يتوقف عند زمن أو مجتمع معين بل إنه مستمر في تحولاته وغاراته على قصور الفكر. **(06)** (عزيز الحدادي، الفلسفة ومرح الحقيقة، س 2006، ص30)

التأثير المتبادل بين الفلسفي و العولمي:

إن الفضاء العولمي يوفر فضاء وحقلا جديدا للعقل النقدي يمارس من خلاله نشاطه ، و في نفس الوقت قد يؤثر هذا الفضاء عليه سلبا أو إيجابا ، و هو ما يعكس تأثيرا متبادلا بين الفلسفي و العولمي . فقد يؤدي هذا الأخير بما يطرحه من نتاجات للتكنولوجيا والميديا إلى " تغييب الديداكتيك الفلسفي بسبب توفر الحلول الجاهزة التي يفرضها العقل الاصطناعي ، الذي يقف وجه حرية الانسان و إنسانيته ، فالفلسفة بنت المشاكل، فكيف لنا أن نبني مشروعا تربويا جوهره الانسان المتعلم الناقد الذي لا يتساءل حول البسيط و المعقد، ثم نقحمه في عالم كلّه أدوات وأنساق مبرمجة و قوالب تفكير، قد يتحول العقل إلى مجرد نسق، المشاكل الفلسفية إلى مجرد دوال ينشرها الجهاز ويحلّها بعيدا عن الاعتبارات الفنية والإنسانية. كما قد يحول دون تحقيق عمل فلسفي ديداكتيكي خصوصا لدى الصغار، إذ كيف يكتسب روح المشكلة والنقد، التحليل والحوار، مادام هناك عقل اصطناعي ينوب عن ذات المتعلم ويقدم له الحلول

جاهزة، فما الدافع إلى الدهشة والإحراج؟ " **(07)** (موسى فتاحين،البعد العولمي في الرقمنة وأثره على فلسفة بناء الانسان المعاصر، س 2012 ص 65، 66)

وهذا ما يحدث استلابا للذات في نظر ماركوز، فالجهاز الإنتاجي، والسلع والخدمات، وسائل النقل و الاتصال الجماهيري ، وتسهيلات السكن والطعام و الملبس و الإنتاج المتعاظم لصناعة أوقات الفراغ تفضي كلها إلى مواقف وعادات ، و ردود فعل فكرية و انفعالية معينة تربط المستهلكين بالمنتجين ، إن المنتجات تكيف الناس ذهنيا، وتشرطهم و تشكل وعيا زائفا عديم الإحساس بما فيه من وعي زائف. **(08)** (هربارت ماركوز، الانسان ذو البعد الواحد، ت جورج طرابيشي، ص47، 48)

و بذلك فالتواصل يكرس حالة استلابية للأفراد و الفئات التي تعيش في المجتمع الاصطناعي، ذلك أن وكلاء الإشهار –بوصفه – شكلا تواصليا جديد نسبيا ، يضعون مجالا للتواصل لا يخلق إلا سلوكا ذا بعد واحد و من ثم فإن لغة الخطاب المغلق لا تبرهن و لا تفسر، لأنها تكتفي بتوصيل القرار و كلمة الأمر و بذلك تصبح أداة للمراقبة في الوقت الذي تقوم فيه بنقل الأخبار. **(09)** (جمال الدين قوعيش، مشروع الكونية الشمولية راهنا – أو إشكال التواصل في عالم معولم، س 2014 ص113.)

حاول بودريار في عديد كتاباته التصدي لما سماه موت الواقع أو نهايته ، الذي كان أبرز سماته نشأة العوالم الافتراضية، وذلك الصراع و القطيعة التي خلقتها العوالم الافتراضية بين الانسان ومجتمعه، فأصبح مغتربا كذات مستلبة بين عالمين العالم الافتراضي و العالم الواقعي. **(10)** (صابرين زغلول السيد، سطوة الميديا، العالم الافتراضي وأثره في المجتمع المدني، س 2018، ص296) " فالواقع الحقيقي لم يعد كما كان عليه من قبل، حيث أثرت وسائل التكنولوجيا في تشكيل الوعي الاجتماعي الجديد في العصر الحاضر، ومع تطور وسائل الاتصال والثورة التكنولوجية التي شهدها عصر ما بعد الحداثة أصبحت وسائل الاعلام تمارس دورا جوهريا في إثارة اهتمام الجمهور بالقضايا والمشكلات المطروحة" **(11)** (صابرين زغلول السيد، سطوة الميديا، العالم الافتراضي وأثره في المجتمع المدني، س 2018، ص296)

و بالتالي تحل الطبيعة الاصطناعية محل الطبيعة الأصلية التي تخلقها العوالم الافتراضية أو يحل العقل الافتراضي محل العقل الطبيعي والنقدي. و يتحول الانسان إلى إنسان اقتصادي استهلاكي ذو بعد واحد منعزل عن العالم الخارجي. يفتقر إلى النقد ، القيمة ، يفتقد إلى ذاته التي سلبها العولمي. كما يجد نفسه بين وهم العزلة واستلاب الثقافة. ففي نظر ماركوز " مشكلة الزمن الحديث هي المحافظة عن الذات في الوقت الذي لم تبق هناك ذات لنحافظ

عليها، واعتبارا لهذا الواقع يتعين التساؤل عن موقع الفرد في المجتمع الحديث ، و استقصاء طبيعة انشطاره الوجودي الذي ولدته مفعولات الحداثة و العقلانية. " **(12)** (محمد نور الدين أفاية، الحداثة والتواصل في الفلسفة النقدية المعاصرة، نموذج هابرماس، س1998، ص34)

و قد بينت دراسات لباحثين بجامعة " هيوستن " بولاية تكساس أن مدمني الفيس بوك يمكن أن يصابوا بأضرار نفسية حادة حيث أن هؤلاء يقارنون أوضاعهم الاجتماعية دائما بالنسبة إلى غيرهم ، و ذلك يؤدي إلى زيادة خطر إصابتهم بالإكتئاب المزمن. وقال المؤلف الرئيس للدراسة – ماي لي ستيرز– " أن معظم الناس يميلون إلى التفاخر على مواقع الفيس بوك لذلك فهم يصورون أنفسهم دائما في أفضل الأحوال ، ولا يعرضون سوى الجوانب الجيدة في حياتهم مخفين السيئة منها. ومع ذلك فنحن لا ندرك بأن ذلك يحدث ، ونقارن أنفسنا دائما بالآخرين، بما حققوه وبما وصلوا إليه، وسنشعر لا إراديا بأننا لا نعيش الحياة الطيبة التي يتمتع بها أصدقاؤنا، كما قد يولد حالة من تدني الاحترام للذات.**(13)** (مواقع التواصل الاجتماعي(Social media)، عرض لمعاني المفاتيح الاصطلاحية، الاستغراب ص356) غير أن التأثير لا يكون الفلسفي متضررا منه فقط بل مستفيدا ومؤثرا في العولمي، خصوصا أن العقل في صيرورة مع نتاجات الانسان المتعددة عبر الأزمنة ، وكل ما يستدحثه يؤسس بواسطته لكوجيتو وجودي جديد.

فإذا كانت الأفكار كما وضحها كانط ينبغي أن تنمو بتتابع انطلاقا من العقل البشري موضع النظام الكرونولوجي لها، ليكشف عن حقيقة تاريخ الفلسفة كتاريخ للعقل و كصيرورة منطقية تعرف الفلسفة عن طريقها الوجود.." **(14)** (بيير بورديو الرمز والسلطة، ت عبد السلام بنعبد العالي،س 2007، ص35، 36.) أي تظهر النزعة النقدية كمجاورة للوثوقية و الشكية التي تحكم الافتراضي غالبا . فيستثمر الفلسفي العولمي و منتجاته ، مدركا ماهيته فيوجهه و يجعله وسيلة و موضوعا له ، بطريقة تخدمه جاعلا إياه موضع تساؤل حتى يحصل له الانكشاف. مثل ما يفعله مع التقنية الحديثة بنظرة هيدغر إذ " يظل من الصائب أن التقنية الحديثة هي أيضا وسيلة من أجل تحقيق غايات ، لهذا نرى أن التصور الأداتي للتقنية يوجه كل الجهد ليضع الانسان في علاقة صائبة مع التقنية . إن الاستعمال الصائب لهذه التقنية على أنها وسيلة هو النقطة الجوهرية في هذه المحاولة. لهذا نريد أن نتحكم في التقنية ونوجهها لصالح غايات روحية نريد أن نُصبح سادة عليها. إن إرادة السيادة هاته تصبح أكثر إلحاحا كلما هددت التقنية أكثر بالانفلات من مراقبة الانسان." **(15)** (مارتن هيدغر التقنية– الحقيقة – الوجود، ترجمة محمد سبيلا، وعبد الهادي مفتاح، ص43).

فالعولمي يدفع إلى التساؤل ماذا يمكن للفكر و الفلسفة أن يجنيا من نتاجه و من ثمار التكنولوجيات الجديدة ؟ يبين عبد الرزاق الدوَّاي أن العولمة تساهم في انبثاق و نشأة الأفكار الجديدة ، في تداولها و انتشارها السريع. وإكسابها

أبعادا تقوي النزعة العالمية ، منمية الشعور بالعيش في عالم واحد . فالأمر المؤكد أن العولمة غيرت ظروف و شروط إنتاج الخطاب الفلسفي ذاته ، فحياة الفلاسفة و خطاباتهم الجديدة تسيير اليوم على إيقاع الجمعيات الفلسفية، والمجلات المتخصصة ، و الندوات و المؤتمرات الفكرية الدولية ، و تكاد تكون اليوم مهجورة المسائل الفلسفية الكبرى التي ظلت المنبع الذي يمد الفكر الفلسفي بالحيوية منذ العصر اليوناني فقد حلت مكانها اهتمامات أخرى جديدة ربما كإشكالية الثقافة و عناصرها الجديدة ، و ظاهرة المثاقفة ، إشكالية التواصل و العقل التواصلي... **(16)** (عبد الرزاق الدوَّاي، الفلسفة في عصر العولمة وتكنولوجيا المعلومات والاتصال الجديدة، ، س 2012، ص175).

وقد وضع هابرماس أسسا فلسفية جديدة عقلانية نقدية و تواصلية ، و حدد إشكاليتها الرئيسية في أخلاقيات الحوار و المناقشة و من بين نتائجها أن الحوار القائم على الحجج العقلية ، الحرية و الاحترام المتبادل ، يقود بالضرورة إلى نتائج يمكن أن يتوافق عليها الجميع ، فالمهمة الملقاة على الفلسفة كفكر نقدي غدت متاحة في الفضاءات الفكرية الجديدة و تمثل انشغالا أساسيا في الفكر المعاصر، و التصور الفلسفي الجديد لما يسميه – العقل التواصلي – كعقل تحرري. **(17)** (عبد الرزاق الدوَّاي، المرجع نفسه، ص181).

و عموما يبقى نوع من البرادوكس القائم بين العقل النقدي و العقل الافتراضي نظرا للتجاذبات التي تميز كل منهما في الفضاء المعولم. و مختلف التساؤلات التي تطرح و التي من شأنها أن تخلد للفلسفة و تجعل الفيلسوف ابن زمانه و واقعه المعيش سواء كان واقعيا أو افتراضيا. لكن ذلك لا يعني عدم أفول العقل النقدي في هذا الفضاء ، بل يكون العقل الإفتراضي مجرد وسيلة و ستار للعقل النقدي.

استنتاج:

في الأخير فإن إشكال الفلسفة و دورها بين العقل النقدي و العقل الافتراضي في الفضاء العولمي إشكالية مترامية الأطراف ، لا يمكن لورقة بحثية مختصرة أن تلم بكل جوانبها ، فالفلسفة في هذا الفضاء تعددت وتجددت أطروحاتها بتجدد و تغير المجتمع الإنساني ، من جوانب اجتماعية ، تربوية ، سياسية ، اقتصادية ، تكنولوجية .... ما يطرح تساؤلات فلسفية جديدة ، يجعلها تعيد التفكير في رؤيتها للإنسان و العوالم المتعددة التي يطرحها الفضاء العولمي باستمرار.

هذا ما يدفع إلى إبراز التحدي الجديد للفلسفة و أهمية التأسيس لفكر فلسفي نقدي معاصر ، في عالم يخضع ويحكمه الرقمي و الافتراضي ... إذ يتوجب على الفيلسوف أن يدرس العولمي. تحديد دور الفيلسوف و رؤيته لمختلف التساؤلات التي استجد طرحها في الفضاء العولمي و خصوصا الافتراضي ، من طرف مختلف أطياف

المجتمع وشخصياته ، كقضايا السياسة ، التربية ، التعصب الديني ، التواصل الافتراضي وما يقابله من تواصل واقعي، كيفية تحيين الطرح الفلسفي حتى يتماشى مع متغيرات الفضاء العمومي.

الهوامش:

01: امانويل كانط، تاملات في التربية. ما هي الأنوار؟ ما التوجه في التفكير،ت محمود بن جماعة، دار محمد علي للنشر، ط1، س 2005، صفاقس، تونس، ص85

02: محمد سبيلا وعبد السلام بنعبد العالي، التفكير الفلسفي، دار توبقال للنشر، الدار البيضاء، المغرب، ص67.

03: عبد الله العروي، مفهوم الإيديولوجيا، ط5، 1993، المركز الثقافي العربي،المغرب، ص43.

04: (جان بيير فرنان العقل بين الأمس واليوم، ت محمد سبيلا وعبد السلام بن عبد العالي، دار توبقال للنشر ط3، 2008، الدار البيضاء المغرب(J.P. Vernant Religions, histoires, raisons, F.M, paris, 1979, p.p79-103).

05: هواري حمزة، مواقع التواصل الاجتماعي وإشكالية الفضاء العمومي، مجلة العلوم الانسانية والاجتماعية، ع20، سبتمبر 2015 ص229

06: عزيز الحدادي، الفلسفة النقدية ومرح الحقيقة.م نتدى المعارف، ط1، بيروت 206 ص30.

07: موسى فتاحين، البعد العولمي في الرقمنة وأثره على فلسفة بناء الانسان المعاصر ص 65، 66

08: هربارت ماركوز، الانسان ذو البعد الواحد، ت جورج طرابيشي، ص47، 48

09: جمال الدين قوعيش، مشروع الكونية الشمولية راهنا – أو إشكال التواصل في عالم معولم- التربية والابستيمولوجيا، ع7، السداسي الثاني جويلية-ديسمبر 2014، ص113

10: صابرين زغلول السيد، سطوة الميديا، العالم الافتراضي وأثره في المجتمع المدني، مجلة الاستغراب، ص26

11: صابرين زغلول السيد، المرجع نفسه، ص296

12: محمد نور الدين أفاية، الحداثة والتواصل في الفلسفة النقدية المعاصرة، نموذج هابرماس، أفريقيا الشرق، المغرب، ط2، 1998 ص34

13: مواقع التواصل الاجتماعي(Social media)، عرض لمعاني المفاتيح الاصطلاحية، الاستغراب، ع11، السنة الرابعة-1439هـ ربيع 2018، عن المركز الإسلامي للدراسات الإستراتيجية، بيروت ، ص356

14: بيير بورديو الرمز والسلطة، ترجمة عبد السلام بنعبد العالي، دار توبقال للنشر، الدار البيضاء المغرب،ط3، 2007، ص35، 36

15: مارتن هيدغر التقنية- الحقيقة – الوجود، ترجمة محمد سبيلا، وعبد الهادي مفتاح، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، المغرب، ص43

16: عبد الرزاق الدوَّاي، الفلسفة في عصر العولمة وتكنولوجيا المعلومات والاتصال الجديدة، عالم الفكر، ع2 المجلد 41، أكتوبر– ديسمبر 2012، ص175

17: عبد الرزاق الدوَّاي المرجع نفسه، ص 181.

المصادر والمراجع:

01: امانويل كانط، تاملات في التربية. ما هي الأنوار؟ ما التوجه في التفكير،ت محمود بن جماعة، دار محمد علي للنشر، ط1، س 2005، صفاقس، تونس.

02: بيير بورديو الرمز والسلطة، ترجمة عبد السلام بنعبد العالي، دار توبقال للنشر، الدار البيضاء المغرب، ط3، 2007.

03 : عبد الله العروي ، مفهوم الإيديولوجيا ، المركز الثقافي العربي ، المغرب ، 1993.

04: محمد سبيلا وعبد السلام بنعبد العالي، التفكير الفلسفي، دار توبقال للنشر، الدار البيضاء، المغرب.

05: مارتن هيدغر التقنية– الحقيقة – الوجود، ترجمة محمد سبيلا، وعبد الهادي مفتاح، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، المغرب.

06: محمد نور الدين أفاية، الحداثة والتواصل في الفلسفة النقدية المعاصرة، نموذج هابرماس، أفريقيا الشرق، المغرب، ط2، 1998.

07: هربارت ماركوز، الانسان ذو البعد الواحد ، ترجمة جورج طرابيشي

08: مجلة التربية والابستيمولوجيا، المدرسة العليا للأساتذة بوزريعة، الجزائر العاصمة، ع7، السداسي الثاني جويلية– ديسمبر2014.

09: مجلة عالم الفكر، مجلة دورية محكمة تصدر عن المجلس الوطني للثقافة و الفنون و الآداب الكويت، ع2 المجلد 41، أكتوبر– ديسمبر 2012.

10: مجلة الاستغراب، دورية فكرية تصدر عن المركز الإسلامي للدراسات الإستراتيجية ، بيروت، ع11، السنة الرابعة– 1439هـ ربيع 2018.

11: مجلة العلوم الإنسانية و الاجتماعية ، ع 20 ، سبتمبر 2015 .

12: الملتقى الدولي الأول، العولمة والتربية الفرص والتحديات، 09–10 ديسمبر 2012، مجلة التربية والابستيمولوجيا، ط1، 2012، مؤسسة كنوز الحكمة للنشر والتوزيع، الجزائر.